بسم الله الرحمن الرحيم. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

الحمد لله رب العالمين. والعاقبة للمتقين. ولا عدوان إلا على الضالين

المقدمة

أما بعد:

فإن المقاصد الشرعية الإسلامية قد تزايد في العصر الحالي الاهتمام بها والالتفات إليها، على مستوى البحث والتأليف والتحقيق والتدوين، وعلى مستوى التدريس والتعليم والتوعية والتثقيف.

وقد كان سبب ذلك بالأساس الحاجة الماسة، والضرورة المُلحَّة لعلم المقاصد على صعيد عملية الاجتهاد والاستنباط والإفتاء والقضاء، وعلى صعيد فهم التكليف وتعقله واستيعابه وتطبيقه، وعلى صعيد تَحمُّل خطاب التكاليف، وأداء رسالة الاستخلاف، وإقامة واجب الإصلاح والتوجيه والإرشاد في الأرض.

ومعلوم أن المقاصد الشرعية سلاح ذو حدين، يمكن استخدامها في الخير والمعروف، ويمكن توظيفها لجلب الشر والمنكر والفساد. ولذلك وجب على العلماء والمتعلمين الإحاطة بهذا العلم، ومعرفة محتوياته ومضامينه، وامتلاك أدواته وآلياته وضوابطه، بغية تطبيقه بوجه حسن، وبكيفية مرضية، تجلب للناس مصالحهم الحقيقية والشرعية، وتدرأ عنهم الفساد والهلاك، وتنفي عن الاجتهاد والاستنباط التعسف في التفسير، والتطويع في التأويل، والإساءة في القصود والنوايا، كما تُبعد - بنفس الحرص والاهتمام - التفسير الظاهري، والتعامل الحرفي مع النصوص

والأدلة، والذي لا ينظر إلا إلى المباني والظواهر والصور، دون أن يُعمل الفكر في البواطن والمعاني والمرامي والمقاصد.

فالنظر المقاصدي الأصيل يقوم على الموازنة بين ظاهر النص ومقصوده، بين مبناه ومعناه، وفق ميزان الشرع، ومعيار الاجتهاد الصحيح وضوابطه.

وهذا النظر المقاصدي هو في حقيقته يتمثل في مبدأ الوسطية الإسلامية التي تقررت بأدلة كثيرة على أنها خصيصة قطعية وسمة مؤكدة من سمات شريعة الله الغراء.

ونظراً إلى مكانة المقاصد الشرعية في العصر الحالي بالخصوص، وفي معالجة كثير من نوازله وحوادثه، تعاقب الباحثون وطلاب العلم على تناول موضوعها بالدرس والبحث والتأليف، سواء على مستوى البحوث والمؤلفات الخاصة، أو على مستوى بحوث الدراسات العليا والترقيات والجوائز، وبحوث المجامع والهيئات الفقهية الشرعية والمراكز البحثية والدراسية.

ولم أكنْ لأشُذّ عن هذا الاتجاه العام في العصر الحالي - فالإنسان ابن عصره، ويتأثر بأحواله وأوضاعه -، فقد أُغريت كي أسهم بشيء يسير وقليل في هذا الاهتمام والعناية بالمقاصد الشرعية، فقد جعلت رسالتي للدكتوراه مخصصة لتناول المقاصد الشرعية عند المالكية[1]، كما ألفت كتابًا بعنوان «الاجتهاد المقاصدي: حجيته، ضوابطه، مجالاته»[2]، ركّزتُ فيه

(١) نوقشت هذه الرسالة بجامعة الزيتونة العامرة سنة ١٩٩٧م. وقد نال صاحبها أفضل تقدير معتمد في الجامعة.

(٢) صدر هذا الكتاب في جزأين ضمن سلسلة كتاب «الأمة» القطرية بتاريخ جمادى الأول ورجب ١٤١٩، تحت رقم: ٦٦ + ٦٧.

على النواحي التطبيقية والتمثيلية والتحليلية والتدليلية للمقاصد، والحكم على كثير من نوازل العصر ومشكلاته في ضوء المقاصد الشرعية التابعة للأدلة والنصوص، وليست المستقلة عنها أو المنفلتة منها. كما أسهمت ببعض المقالات القصيرة في بعض الدوريات والمجالات.

وقد رأيت من اللازم والضروري - شرعيًا وأدبيًا وأكاديميًا - تأليف هذا الكتاب لسببين رئيسين مباشرين:

١- الاستجابة لحاجة القرّاء في معرفة علم المقاصد وإدراك عموماته، والإلمام ببعض جزئياته ومتعلقاته، كي يحققوا بهذا العلم الفهم الصحيح والتطبيق السليم للإسلام، وللتكاليف، وللاستخلاف في الأرض، وكي يتمكنوا من الرَّدّ على المزاعم والشُّبَه والمغالطات التي تُحاكُ ضد الشرع، تحت عناوين المقاصد والمصالح والغايات، حيث يقولون: إن العبرة بالمقاصد والمعاني، ويقولون: الغايات تبرر الوسائل، وغير ذلك.

٢- الاستجابة لحاجة طلاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ولا سيما طلاب كلية الدعوة والإعلام بالخصوص[1]، الذين يدرسون منهج مقاصد الشريعة في المستوى الثالث والرابع، فقد رأيت تدوين ما كنت ألقيه عليهم أثناء المحاضرات، بغية تيسير المنهج لهم، ويسر مراجعته، وسهولة العودة إليه أثناء المذاكرة والاختبارات. ولا سيما والمنهج عميق ودقيق، وهو يحتاج إلى بذل جهدي التدريس

(١) وكذلك طلاب المعهد العالي للقضاء، الذين يدرسون حاليًا منهج المقاصد الشرعية، وكذلك طلاب الدكتوراه بقسم أصول الفقه، وبقسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة، والذين سيدرسون لاحقًا هذا المنهج.

والتأليف حتى تتحق الغاية المرجوة منه.

وقد كنت أواخر كل فصل دراسي يبادرني الطلاب بأسئلة كثيرة تتعلق بالمنهج والبرامج، وبإعداد مذكرة تحوي المادة العلمية كلها، ولا سيما بالنسبة للطلاب المنتسبين والراسبين وغيرهم ممن يحتاجون إلى مدونة أو مذكرة مكتوبة يعودون إليها خارج قاعات التدريس بالجامعة.

فلذلك كله، وللأسباب الأولى، قمت بتأليف هذا الكتاب الذي آمل أن يكون موفقًا ومفيداً، وأن يُتجاوز فيه عن الأخطاء والهفوات التي هي من سمات البشر، ومن مستلزمات العجلة والتسرع والحرص على الاستفادة والإفادة.

ولا أدعي أنني قد أتيت على كل أو أغلب مسائل المقاصد، فذلك أكبر من أن تستوعبه مثل هذه المذكَّرة - ولكنني أتيت على ما ظننته قريبًا من المراد والمقصود. ونسأل الله تعالى الصواب والرشاد. إنه ولي ذلك والقادر عليه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه نور الدين مختار الخادمي

عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة بالرياض (قسم الفقه)

صبيحة يوم الجمعة الثامن من شهر صفر ١٤٢١هج - الموافق ليوم ١٢ ماي . . . ٢م.